مكتبة الجاحظ
لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون



الجزء الأول

الناشر
مكتبة الخانجي بالقاهرة
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كتبتَ إليَّ ـ حفظك الله ـ أن أسعى سعيًا حثيثًا في إظهار ما بقي من آثار شيخنا الجاحظ ، وزعمتَ أنّي شغلت عنه بغيره . وكدت أن تلومني لما فرّطت في جنب أبي عثمانَ فيما رأيتَ .

وإخالك عرفتَ بعض الحقّ ولم تَظهر عليه كلّه ؛ فإن الحقّ يبدو أحياناً في بعض الأمر أبلج واضحًا ، وفي بعض الأمر يَخفى وجههُ حينًا فما تكاد تتبيّنه إلا بعد التعرّف والتصفّح . فإني لم أفارق آثار أبي عثمان مذ شدوت ، ولا تزال تلك مني همّي ووُكدي ، ما بين قراءة فيها وتنقيح ، وتجلية وتصحيح ، حتى أذيع منها بين الناس ما يستطيعه الجهد ، ويسمح به الزمان .

وقد بعثتُ له من قبل كتبًا ثلاثة ضخامًا ، بذلت فيها عصارة النفس وماء الشباب ، وكان ذلك لنفسي صنيعًا أعتزّ به وتسامى به الغبطة ، لمّا علمت أن الصفوة من الأدباء قد تلقّوه بترحيب صادق ، وتقدير كريم .

وما كان بي ـ أيّدك الله ـ إلّا أن أُعِدّ أصول ما بقي من آثار الجاحظ وأرودها ، وأنظر الصورة التي ينبغي أن تبدوَ فيها . فوجدتُني بين خليط من المخطوطات والمطبوعات ، ووجدت فيما وجدت مجموعة رسائل الجاحظ المحفوظة بمكتبة «داماد إبراهيم»[1] ، غنية بآثار للجاحظ ، بعضها لم تظهر بعد عليه عيون جمهور الأدباء .

فرأيت أن أقوم بنشر هذه المجموعة كاملة فى مجلدين مستقلين لها فهارسهما الفنية الخاصة ، ريثما تتاح لى الفرصة أن أكمل جمع سائر الرسائل المفرقة التى لم تحوها هذه المجموعة ، ومنها مختارات عبيد الله بن حسان ، التى كان لها فضل فى تحقيق كثير من نصوص مجموعة داماد ، ومنها رسائل مضمنة بطون الكتب ، كما فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، وطراز المجالس للشهاب الخفاجى ، وجمع الجواهر للحصرى ، وغير ذلك من كبير الكتب وصغيرها .

مجموعة داماد
وهى نسخة الأصل

كان من المهام الجليلة التى اضطلع بها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية أن أتاح الفرصة للباحثين فى الحصول على مصورات المخطوطات المتناثرة فى المكتبات العامة ، ومنها مكتبات تركيا ، التى حوت مقداراً ضخماً من أنفس الكتب العربية .

وكان مما أسعدنى أن أعثر على هذه المجموعة الجليلة القدر التى صورها معهد المخطوطات بعناية الأخ رشاد عبد المطلب من مكتبة (داماد إبراهيم[1]) بتركيا . ورقمها فى مكتبة داماد هو ٩٤٩ ، وفى معهد المخطوطات ف ٩٤٣ من ١٨٥ .

ويحمل صدر هذه النسخة رسم خاتمين :

الخاتم الأعلى كبير ، وقراءته :

(١) الداماد فى اللغة التركية : زوج البنت ، كما يقال لزوج الأخت « أنشته » .

« هذا مما وقفه . . . . صاحب الخير والحسنات ، الصدر الأعظم والصهر الأفخم إبراهيم باشا يسر الله له بالخير ما يشا وزيراً لحضرت السلطان الغازي أحمد خان خلدت خلافته إلى انقراض الدورات » .

والخاتم الأسفل صغير ، وقراءته :

« بو نسخة وقفندر داماد إبراهيم باشانك » .

وتفسيره : هذه النسخة من وقف داماد إبراهيم باشا .

وليس لهذه النسخة تاريخ ، وإن كان المرجح أن خطها من خطوط القرن السادس ، كتبت بالخط النسخي المشرب ببعض قواعد الخط الفارسي ، كما يتضح ذلك في رسم بعض صنوف الهاء ، وصنوف السين ، وصنوف اللام ، مع إغفال لبعض النقط ، ومع ضبط قليل ذاهب في الندرة .

وهي في ٢٣٩ ورقة، منها ١٩ ورقة مفقودة في أولها . وبالصفحة ٢٢ سطراً ، في كل سطر نحو ١١ كلمة .

ويبتدئ ترقيم أوراقها بالورقة ٢٠ . وهذا يفسّر ما صنعته من بدء ترقيم نسختي هذه برقم (٢٠ ظ) الذي أثبته في ص ٥ من هذا المجلد تعبيراً عن أرقام الأصل التي حرصت على إثباتها في جنبات هذه النشرة . وقد أشرت إلى ذلك في مقدمة الرسالة الأولى في ص ٣ .

وربما كانت الرسالة المفقودة التي كانت في صدر المجموعة هي « كتاب حكاية عثمان الخياط في اللصوص ووصاياهم » التي يعزّ وجود أصل لها . وذلك أن داود الجلبي في كتابه (مخطوطات الموصل ص ٢٦٤) ذكر مجموعة من رسائل للجاحظ كانت محفوظة في مكتبة أمين بن أيوب الجليـــلي تطابق

فى عنوانات رسائلها مجموعة داماد وتزيد عليها فى أولها « حكاية عثمان الخياط فى اللصوص ووصاياهم » . ومن المؤسف أن مجموعة أمين الجليلى قد فقدت بعد وفاته ، كما ورد فى مقدمة مجموع رسائل الجاحظ لكراوس والحاجرى ص(و) .

ويبدو كذلك أنه قد تجوهل قديماً هذا النقص ، وابتدأ المجلد برسالة فضائل الأتراك ، وترقيمها فى النسخة (٢٠ و) أى وجه الورقة ٢٠ ، وجعل عنوانها وجهًا للمجلد ، وسردت تحت هذا العنوان محتويات المجلد بخط مخالف على الوضع التالى . وقد أثبتها هنا بلفظها ، والترقيم لى :

١ — كتاب فضائل الأتراك[1] لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

٢ — رسالة كتبها إلى محمد بن عبد الملك فى الأخلاق المحمودة .

٣ — كتاب كتمان السر وحفظ اللسان .

٤ — رسالة المعاش والمعاد فى الأدب .

٥ — كتاب فخر السودان على البيضان .

٦ — رسالة فى الجد والهزل .

٧ — رسالة فى نفى التشبيه .

٨ — رسالة فى معنى كتابه فى الفتيا .

٩ — رسالة إلى أبى الفرج بن نجاح الكاتب تصنيف أبى عثمان .

١٠ — رسالة فصل ما بين العداوة والحسد .

١١ — رسالة فى ذم القواد .

---

(١) ذكر بروكلمان فى كتابه ٣ : ١١٥ من الترجمة العربية أنها ترجمت إلى التركية .

١٢ — رسالة فى النابتة إلى أبى الوليد .

١٣ — كتاب الحجاب .

١٤ — كتاب مفاخرة الجوارى والغلمان .

١٥ — كتاب القيان .

١٦ — كتاب ذم أخلاق الكتّاب .

١٧ — كتاب البغال

١٨ — كتاب الحنين إلى الأوطان .

وظاهر هذا الفهرست أن بالمجموعة ١٨ رسالة وكتاباً . ولكن عند التحقيق ظهر لى أن عددها ١٧ لا ١٨ ؛ لأن الرسالة الثانية ، وهى رسالة « الأخلاق المحمودة والمذمومة » هى بعينها الرسالة الرابعة « رسالة المعاد والمعاش فى الأدب » أو بعبارة أدقّ : نسخة أخرى منها . وقد رجّحت لها التسمية الأخيرة الواردة فى النسخة الثانية ، أى « رسالة المعاد والمعاش » وبيّنت ذلك فى مقدمتها ص ٩٠ .

وعلى ذلك صارت الرسالة الخامسة فى هذا الفهرست تحمل رقم ٤ والسادسة فيه تحمل رقم ٥ ، ويتناقص الترقيم حتى يصير آخر الرسائل برقم ١٧ .

وقد قدّمت لكل رسالة أو كتاب من هذه المجموعة بمقدمة أوضحت فيها تاريخ نشرها إن كانت قد نشرت من قبل ، أو نبّهت على أنها تنشر للمرة الأولى .

وستظهر هذه المجموعة ، فى جزأين ، يلحق بالثانى منهما (الفهارس الفنية) لهما معاً . إن شاء الله تعالى .

المجموعات التى نشرت من قبل

واستكمالاً لدراسة تاريخ نشر رسائل الجاحظ أشير هنا إلى مجموعات من رسائل نشرت من قبل ، وبعضها يتضمن شيئاً مما فى هذه المجموعة ، أعنى مجموعة داماد .

أولا :

مجموعة فان فلوتن . وعنوانها (ثلاث رسائل لأبى عثمان بن بحر الجاحظ البصرى) . طبعت بمطبعة بريل بمدينة ليدن بهولاندا سنة ١٩٠٣ م . وتشمل :

١ — رسالة إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة ص ١ — ٥٦

٢ — كتاب فخر السودان على البيضان ص ٥٧ — ٨٥

٣ — كتاب التربيع والتدوير ص ٨٦ — ١٥٦

وقد قام بإكمال العمل فى هذه المجموعة وتنقيحها ونشرها المستشرق دى جويه : M. J. de Goeje

ثانياً :

مجموعة الفصول المختارة ، اختيار عبيد الله بن حسان . طبعت على هامش كامل المبرد سنة ١٣٢٣ — ١٣٢٤ فى جزأين :

١ — من كتابه فى الحاسد والمحسود ١ : ٢

٢ — من كتابه فى المعلمين ١ : ١٧

٣ — من رسالته إلى الحسن بن وهب فى مدح النبيذ وأصحابه ١ : ٩٧

٤ — من كتابه فى طبقات المغنين ١ : ١٢٠

٥ — من كتابه فى النساء ١ : ١٣٠

٦ — من رسالته إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك ١ : ١٦٦
٧ — من كتابه فى حجج النبوة ١ : ٢٧٥ إلى ٢ : ١١٧
٨ — من كتابه فى خلق القرآن ٢ : ١١٧
٩ — من كتابه فى الرد على النصارى ٢ : ١٤٨
١٠ — من رسالة إلى أبى الفرج الكاتب فى المودة والخلطة ٢ : ١٩٩
١١ — من كتابه فى استحقاق الإمامة (١) ٢ : ٢١٢
١٢ — من رسالته فى استنجاز الوعد ٢ : ٢٢٠
١٣ — من رسالته فى تفضيل النطق على الصمت ٢ : ٢٢٧
١٤ — من كتابه فى صناعة الكلام ٢ : ٢٣٨
١٥ — من رسالته فى مدح التجارة وذم عمل السلطان ٢ : ٢٤٦
١٦ — صفات الشارب والمشروب ٢ : ٢٥١
١٧ — من رسالته فى استحقاق الإمامة ٢ : ٢٦٩
١٨ — من مقالة الزيدية والرافضة ٢ : ٢٩١

وهذه النسخة ينقصها كثير مما فى النسخة التيمورية ، ونسخة المتحف البريطانى ، فهى مجموعة من الاختيار مبتورة .

ثالثاً :

مجموعة محمد ساسى ، وعنوانها (مجموعة رسائل لمؤلفها العلامة الشهير والفهامة الكبير الأستاذ أبى عثمان عمرو بن محبوب المعروف بالجاحظ) . طبعت بمطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٥ .

وقد أعاد فيها ما طبع فى مجموعة فان فلوتن . وضم إليها ثمانى رسائل أخرى فصارت كلها على الوضع التالى :

(١) كذا . ويبدو أنه كتاب آخر .

١ رسالة فى الحاسد والمحسود ص ٢ — ١٣[1]

٢ — رسالة إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة ص ٢ — ٥٣

٣ — كتاب فخر السودان على البيضان ص ٥٤ — ٨١

٤ — كتاب التربيع والتدوير ص ٨٢ — ١٤٧

٥ — فى تفضيل النطق على الصمت ص ١٤٨ — ١٥٤

٦ — فى مدح التجار وذم عمل السلطان ص ١٥٥ — ١٦٠

٧ — فى العشق والنساء ص ١٦١ — ١٦٩

٩ — فى استنجاز الوعد ص ١٧٣ — ١٧٧

١٠ — فى بيان مذهب الشيعة ص ١٧٨ — ١٨٥

١١ — فى طبقات المغنين ص ١٨٦ — ١٨٩

رابعاً :

مجموعة يُوشَع فِنــكَل : J Finkel

وعنوانها : (ثلاث رسائل لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) وهو موافق لعنوان مجموعة فان فلوتن . طبعت فى المطبعة السلفية سنة ١٣٤٤ ﻫ وقد جعلت هذه المجموعة هدية من مجلة الزهراء ، التى كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب ، إلى قرائها فى سنتها الثانية . وتشمل هذه المجموعة ثلاث رسائل :

١ — المختار من كتاب الرد على النصارى[2] من ص ٩ — ٣٨

٢ — ذم أخلاق الكتاب من ص ٣٩ — ١٥

٣ — رسالة القيان من ص ٥٢ — ٧٥

(١) هكذا بأرقام صفحات متقلة

(٢) وهى من اختيارات عبيد الله بن حسان .

والرسالتان الأخيرتان منشورتان عن أصل بمكتبة نور الدين مصطفى برقم ١٠٠ وهو أصل يعد الآن مفقوداً .

خامساً :

مجموعة ريشر : Rescher نشرت فى مدينة شتوتجارت سنة ١٩٣١ وهى مقتطفات وترجمات من آثار الجاحظ إلى جانب نصوص أصيلة أخرى له لم تنشر من قبل، كما ذكر بروكلمان ٣ : ١١٠ من الترجمة العربية .

ولم يتيسر لى الوقوف عليها لأنى لم أعثر عليها فى المكتبات العامة بمصر، وقد أمكننى أن أتعقب ترتيبها وجمعها من مواضع متفرقة متشعبة من كتاب بروكلمان على الوضع التالى :

١ — دراسة لمحتويات البيان والتبيين	ص ٢٢ — ٤٠
٢ — الرد على النصارى	ص ٤٠ — ٦٧
٣ — ذم أخلاق الكتاب	ص ٦٧ — ٧٨
٤ — رسالة القيان	ص ٧٨ — ١٠٠
٥ — رسالة فى المعلمين	ص ١٠١ — ١٠٨
٦ — فى ذم اللواط	ص ١٠٨
٧ — فى مدح النبيذ وصفة أصحابه	ص ١١١
٨ — حجج النبوة	ص ١١٢ — ١٥٩
٩ — صناعة الكلام	ص ١٥٩ — ١٦٣
١٠ — الشارب والمشروب	ص ١٦٣ — ١٦٨
١١ — استحقاق الإمامة	ص ١٦٨ — ١٧٩
١٢ — الحاسد والمحسود	ص ١٨٠ — ١٨٢
١٣ — تفضيل النطق على الصمت	ص ١٨٢ — ١٨٦

سادساً :

مجموعة حسن السندوبى بعنوان (رسائل الجاحظ) طبع الرحمانية سنة ١٣٥٢ هـ : ١٩٣٣ م . ذكر فى مقدمتها أنها « منتقاة من كتب الجاحظ ومن كتب أخرى أكثرها فى متناول الأيدى . وهذه الرسائل فى التاريخ والأدب

والاجتماع والجدل . وقد ألحقنا بها طائفة صالحة من رسائله الخاصة التي يسميها العرف الإخوانيات » .

ولم يشر الأستاذ السندوبي إلى أصل ما مما نَشَر عنه هذه المجموعة ، وتشتمل مجموعته على :

١ — خلاصة كتاب العثمانية ص ١ ـ ١٢ . وقد أتبعها بخلاصة نقض العثمانية لأبي جعفر الإسكافي ص ١٣ـ٦٦ . وقد كتبت عنها في مقدمة العثمانية .

٢ — من كتاب فضل هاشم على عبد شمس	٦٧ — ١١٦
٣ — » » حجج النبوة	١١٧ — ١٥٤
٤ — » » الحجاب	١٥٥ — ١٨٦
٥ — » » التربيع والتدوير	١٨٧ — ٢٤٠
٦ — » » استحقاق الإمامة	٢٤١ — ٢٥٩
٧ — » رسالته في صناعة القواد	٢٦٠ — ٢٦٥
٨ — » كتابه في النساء	٢٦٦ — ٢٧٥
٩ — » رسالته في الشارب والمشروب	٢٧٦ — ٢٨٤
١٠ — » » في مدح النبيذ	٢٨٥ — ٢٩١
١١ — » » في بني أمية	٢٩٢ — ٣٠٠
١٢ — » كتابه في العباسية	٣٠٠ — ٣١٦
١٣ — » رسائله الخاصة	٣٠٣ — ٣١٥

وهذه الرسائل الخاصة الأخيرة ست رسائل :

رسالة إلى أبي الفرج الكاتب في المودة والخلطة ، وأخرى في ذم الزمان ، ورسالة إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، وأخرى إلى أحمد بن أبي دُواد ، وغيرها لإبراهيم بن المدبر ، ورسالة أخيرة كتب بها معاتباً .

سابعاً :

مجموعة باول كراوس وطه الحاجرى ، وعنوانها (مجموع رسائل الجاحظ) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٣ . وهى نشرة علمية جيدة ، وبها :

١ — رسالة المعاد والمعاش	ص ١ — ٣٦
٢ — كتاب كتمان السر وحفظ اللسان	٣٧ — ٦٠
٣ — رسالة فى الجد والهزل	٦١ — ٩٨
٤ — رسالة فصل ما بين العداوة والحسد	٩٩ — ١٢٤

وإنى لأزجى الشكر صادقاً إلى الأخ السيد (محمد نجيب أمين الخانجى) لتيسيره نشر سلسلة هذه الرسائل وغيرها من نفائس التراث العربى ، مقتدياً فى ذلك بوالده المغفور له السيد (أمين الخانجى) ، الذى يحفظ له التاريخ سبقاً مبكراً بارعاً إلى إحياء كثير من المخطوطات العربية التى أولاها عنايته وإخلاصه .

* * *

وأما بعد ، فإنى أرجو أن أوفق ـ بعون الله ـ حينما أفرغ من نشر هذه المجموعة (مجموعة داماد) محققة على النهج الذى جريت عليه فى نشر الحيوان والبيان والعثمانية ـ أن أتم نشر ما بقى من رسائل الجاحظ فى أجزاء لاحقة .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

مصر الجديدة فى { ٢٣ من جمادى الأولى ١٣٨٤ / ٢٩ من سبتمبر سنة ١٩٦٤ } — عبد السلام محمد هارون